

المقاصد القرآنية رؤية نحو التفعيل والإفادة الفكرية

دكتور محمد غنيمي محمد قنديل
كلية الدعوة والخطابة – جامعة خاتم المرسلين

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الحمد الذي أنزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، والصلاة والسلام على المبعوث للناس رحمة هادياً ومبشراً ونذيراً ، وعلى آله وأصحابه أهل المكرمات والتوقير والتبجيل ، وعلى التابعين لهديهم أجمعين

وبعد

فإن القرآن الكريم منهج هذه الأمة ونور دربها وقائد مسيرتها وسيرها ، وفيه عزها وشرفها وهو طريق الهداية والرشاد ، وأنه من الأهمية بمكان أن يقف أهل العلم مع القرآن من خلال ومقاصده وغاياتها الشريفة وقفات ليستخرجوا منه الدرر والفوائد النافعة للأمة في دينها ودنياها ، وقد أمرنا الله تعالى وحثنا علي التدبر في القرآن الكريم لفهم معانيه والاستفادة منها في حياتنا، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : 24]، وقال: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 29].

وعملية تدبر القرآن والتفكر في آياته تقودنا نحو تأصيل فكري لكافة القضايا التي يتم طرحها من خلال حياة الناس وواقعهم ، فلقد عني القرآن بكل صغيرة وكبيرة منها قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : 38].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي :

- أن القرآن الكريم دستور الأمة ومنهجها وطريق فلاحها ونجاتها ، ولا بد من تدبر آياته واستخلاص الفوائد والدروس منها.
- أن المقاصد القرآنية غاية في الأهمية إذ أنها تبرز الهدف الرئيس من إنزال القرآن الكريم وهو هداية الناس أجمعين لعبادة الله تعالى حق العبادة.

- عناية القرآن ومقاصده بالفكر وتقويمه وجعله منضبطاً مستقيماً من خلال العناية بالعقل والعلم.

أسئلة البحث واشكالياته:

- أما عن أسئلة البحث واشكالياته فهي :
- ما المراد بالمقاصد القرآنية؟
- ما العلاقة بين المقاصد القرآنية ومقاصد الشريعة؟
- كيف ساهمت المقاصد القرآنية في تقويم الفكر؟
- كيف علاجت المقاصد القرآنية الخلل الفكري؟
- ما طرق تفعيل المقاصد القرآنية في تقويم الفكر والإفادة منها؟

المبحث الأول

تعريف المقاصد القرآنية وأهميتها

جعل الله تعالى لخلق الإنسان حكماً وغايات، فلم يخلقهم عبثاً، ولم يتركهم سدى ؛ فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]، وشرع لتحقيق هذه الغايات العبادات كلها؛ من صلاة وصوم، وزكاة وحج، وجهاد وذكر... ولم يشرع هذه العبادات عبثاً، بل لحكم وغايات، سواء أدركها العقل أم لم يدركها.

وللوصول إلى تلك الغايات والحكم وأوصى القرآن الكريم الإنسان بالتفكير والتدبر فيما حوله أولاً : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: 101]، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾، وقال جل وعلا : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: 20]، وفي القرآن المنهج الذي بين فيه له طريقة العبادة وأسلوب العمل ومنهجه ؛ فقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : 82] ، وقال أيضاً ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : 29]، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : 24] من تلك النصوص القرآنية الكريمة يبين لنا جلياً مدى عناية القرآن الكريم ببيان الحكم والغاية من النص الشرعي ،

وضرورة فهمه وفهم مراده وقصده حتي يكون دافعاً إلي حسن العمل وحسن العبادة.

ولابد من تحديد المفهوم وتحرير المصطلح حتي نعرف مدى أهميته ، فنبدأ بتعريف المقاصد لغة واصطلاحاً فنقول :

أولاً: تعريف المقاصد لغة

المقاصد جمع مقصد، وهي مشتقة من الفعل قصد، وكلمة المقاصد عند أهل اللغة العربية بمعان عديدة، من هذه المعاني:

1 -استقامة الطريق: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ [النحل: 9](1).

2 -العدل والوسط بين الطرفين: وهو ما بين الإفراط والتفريط، والعدل والجور، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ [فاطر: 32].

3 -الاعتماد والاعتزام وطلب الشيء وإثباته: تقول: (قصدت الشيء، وله، وإليه قصداً)(2).

وتعود كلمة «مقصد» إلى أصل: (ق، ص، د) ، ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان أو جور. هذا أصله في الحقيقة، وإن كان يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل(3).

ثانياً: تعريف المقاصد اصطلاحاً

عند النظر في معني المقاصد اصطلاحاً نجد أنه لم يكن هذا المصطلح معروفاً لهذا النص عند الأصوليين ، ولكن عبروا عنها بألفاظ تدل على المعني المراد منها في مثل: الأمور بمقاصدها، مراد الشارع، أسرار الشريعة، الاستصلاح، رفع الحرج والضيق، العلل الجزئية للأحكام الفقهية...إلخ، أما تعريفها عند الفقهاء المعاصرين فجاءت بتعريفات

1-ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، مكتبة الكتب التعليمية، بيروت لبنان ،سنة1980م (3/ 96).

2-الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت666هـ): مختار الصحاح ، المكتبة العصرية -بيروت لبنان ط خامسة ، سنة 1420 هـ -1999م تحقيق أحمد عبد الغفور عطار سنة1414هـ ،(2/ 24).

3- الفيومي ،أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت:770هـ) : المصباح المنير ، طبعة مكتبة لبنان. بيروت ،سنة1987م ، (260).

مقاربة، بداية من الشاطبي (790 هـ = 1388م)، حتى الآن، ومن أهم هذه التعريفات ما يلي :

1- عرف الطاهر بن عاشور: (1284 هـ = 1868م) المقاصد الشرعية بقوله : "هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"⁽¹⁾.

2 - علال الفاسي: (1326 - 1394 هـ = 1908 - 1974م): المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"⁽²⁾. قاصداً بالغاية منها: مقاصدها العامة، وبأسرار: المقاصد الخاصة لكل حكم من أحكامها الجزئية التي جاءت بها النصوص الشرعية. 3 - إسماعيل الحسني: الغايات المصلحية المقصودة من الأحكام، والمعاني المقصودة من الخطاب"⁽³⁾. وهي جميعاً بمعنى واحد أو متضمنة بعضها البعض بمعنى أن الغاية المصلحية هي في الأحكام والخطاب واحدة لأن الخطاب والحكم هو نص الشارع.

4 - أحمد الريسوني: الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"⁽⁴⁾. يقصد أن النصوص الشرعية ما جاءت إلا لتحقيق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم ، وكما قيل حيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله.

5 - الخادمي: هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئياً أم مصلحة كلية، أم سمات جمالية،

1- الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية ، تقديم حاتم بوسمة ، طبعة دار الكتاب المصري ، القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت ، سنة 2011م ، (251).

2- د. علال الفاسي : مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ، سنة 1991م، (ص3).

3- إسماعيل الحسني : نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور ، دار النشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سنة 1995م ، (15).

4- أحمد الريسوني : نظرية المقاصد عند الشاطبي ، الناشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، سنة 1412 هـ ، 1992م ، ص124.

وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو: تقدير عبودية الله، ومصلحة الإنسان في الدارين⁽¹⁾.

من التعريفات السابقة نري أن المقاصد هي الغاية التي جاء النص الشرعي في القرآن والسنة من أجل تحقيقها ، و أن معنى المقاصد الشرعية عند علماء المقاصد يدور حول الغايات والأهداف والمآلات التي قصدها واضع الشرع الحكيم لتحقيق سعادة الإنسان ومصلحته في الدارين الدنيا والآخرة. وهذا ما أكدّه العز بن عبد السلام بقوله: "والشريعة كلها مصالح؛ إما تدرأ مفسدات أو تجلب مصالح" (2) ، وهو مثل ما قاله الشاطبي في موافقاته: "والمعلوم من الشريعة أنها شرعت لمصالح العباد ، فالتكليف كله ، إما لدرء مفسدة ، وإما لجلب مصلحة ، أز لهما معاً"⁽³⁾ ، و ابن تيمية (728هـ) يزيد الأمر بيانا بقوله : "إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها فهي تحصل أعظم المصلحتين بفوات أدناهما ، وتدفع أعظم الفسادين باحتمال أدناهما.. " (4) ، "والمصالح ضربان: أحدهما حقيقي: وهو الأفراح والذات، والثاني مجازي: وهو أسبابها. وربما كانت أسباب المصالح مفسدات فيؤمر بها أو تباح، لا لكونها مفسدات بل لكونها مؤدية إلى مصالح، وذلك كقطع الأيدي المتأكلة حفظاً للأرواح"⁽⁵⁾.

هذا بالنسبة لمقاصد الشريعة عامة وهو ما يبحثه علماء الأصول والمقاصد ، ولكن ما المراد بالمقاصد إذا أضيفت إلي القرآن الكريم " المقاصد القرآنية"؟

-
- 1- نور الدين بن مختار الخادمي : الاجتهاد المقاصدي ، حجته وضوابطه ومجالاته ، كتاب الأمة ، العدد 66، رجب 1419 هـ السنة الثامنة عشرة ، سنة 1998م ، (ج2/38).
 - 2- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام : قواعد الأحكام في مصالح الأناس ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، سنة 1991م ، ج1/ص8.
 - 3- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت 790هـ): الموافقات في أصول الشريعة ، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، طبعة دار ابن عقان ، 1417 هـ/ 1997م. ج1/199.
 - 4- ابن تيمية (728هـ) : الاستقامة ، تحقيق د محمد رشاد سالم ، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى ، سنة 1403 هـ ، 1983م ج1/288.
 - 5- العز بين عبد السلام : قواعد الأحكام ، ج1/12. وذكر قريباً من هذا المعنى ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) في مفتاح دار السعادة ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ، ج14/2.

المقاصد القرآنية :

مقاصد القرآن الكريم أحد مصطلحات علوم القرآن ويُقصد به دراسة الأسرار والحكم والغايات التي نزل القرآن الكريم لأجل تحقيقها جلباً لمصالح العباد ، ودفعاً للمفاسد عنهم ، وهي واضحة في جميع آيات القرآن أو معظمه. وتُعرف على أنها " الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد"(1).

ولهذا فإن من أهم أسس التعامل مع القرآن الكريم هو فهم مقاصده، ومعرفة غاياته وأهدافه وما يرمي إلى تحقيقه في الفرد والمجتمع، فمعرفة مقاصد القرآن ابتداءً تساعد على رسم تصور عن موضوعات القرآن الكريم ومحاوره، ومجالات اهتمامه. كما لمعرفة مقاصد القرآن أهمية في علم التفسير وتدبر القرآن، ذلك أن توجيه المعنى واستنباط الأحكام يعتمد على الإمام بالمقاصد.

كذلك من خلال القرآن الكريم ثبتت مقاصد الشريعة عموماً والكليات الشرعية الخمس التي جاء الشرع الحنيف بحفظها خصوصاً ، وهي : حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فقد وردت جملة من نصوصه وأحكامه لتثبيت تلك الكليات وتدعيمها، واعتبارها أصولاً قطعية معتبرة في كل الملل والأمم.

ومن أهمية دراسة مقاصد القرآن :

للمقاصد عامة والمقاصد القرآنية خاصة في دراستها وتطبيقها على أرض الواقع فوائد وأهمية كبيرة؛ حيث إنها روح الشريعة، وأهدافها ومقاصدها وغاياتها، وكما يقول الإمام الجويني في البرهان: "من لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة، وهي قبلة المجتهدين، من توجه إليها من أي جهة، أصاب الحق دائماً"(2) ، ولدراسة مقاصد القرآن أهمية بالغة في فهم القرآن الكريم وفهم غاياته ويمكن إجمال ذلك فيما يلي :

1- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني : إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات. المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر (ط. الأولى). دار الكتب العلمية – لبنان بيروت ، سنة 1404 هـ - 1984 م ، ص 4-3.

2- الجويني ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي إمام الحرمين (ت: 478هـ): البرهان في أصول الفقه ، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة ، طبعة 1 ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، سنة 1418 هـ - 1997 م. (1/ 206).

*أن مقاصد القرآن هي المدخل السليم إلى فهم الرسالة القرآنية الإسلامية على وجهها الصحيح وبناء تصور قائم على الوضوح وصدق البيان من خلال النصوص القرآنية الرامية إلى صلاح وإصلاح المجتمع.

*أنها تمكن قارئ القرآن من الفهم السليم للمعاني التفصيلية والمقاصد الخاصة لأمثاله وقصصه ووعدته ووعيده ، وخاصة إذا ما كانت تلك المعاني التفصيلية تمس حاجة المجتمع وتهدف إلى بنائه بناءً سليماً قائم على أسس قوية.

*أنها تمثل الميزان والمعيار الذي يجب أن نزن به أعمالنا الفردية والجماعية ، وذلك من خلال التدبر فيما جاء فيه من قصص يربي فيه الأمة أفراداً وجماعات على قيم وأخلاق تنشأ من خلاله مجتمعاً قوياً متماسكاً.

*أن مقاصد القرآن الكريم تؤكد وتعضد مقاصد السنة النبوية جملة وتفصيلاً وتساهم في فهمها وتأصيلها مما يؤكد العلاقة بين النصين الشريفيين.

*أن مقاصد القرآن معيار وميزان يجب أن يهتم به العلماء عامة والمفسرين خاصة في مناهجهم وتفسيراتهم، فتكون في نطاق مقاصد القرآن وأهدافه العامة.

*أن مقاصد القرآن تعطي لنا صورة واضحة كاملة عن التصور الإسلامي للتشريع الإسلامي وحرصه على صلاح حال العالم بأسره وفي القلب منه المؤمنون به.

*أن مقاصد القرآن تساهم بصورة كبيرة في تقويم الفكر وإصلاح الخلل الفكري الناجم عن سوء الفهم أو التصور ، وذلك بإصلاح العقول وتقويمها بصورة صحيحة.

***وقد أجمل علماء المقاصد بعض الفوائد منها :** تقييم المسار العام للفقه وأصوله وفاعليته ، تعيين حدود الفقه وصلاحياته ، رفع التعارض في مجال التشريح والتنفيذ الفقهيين ، تقييم السند من خلال تقييم المتن ، التوافر على نظم وقواعد فقهية ، تصنيف الأحكام والمسائل الشرعية في مجاميع منتظمة متماسكة ، تنظيم العقل وطريقة التفكير ، في القضاء والإفتاء

والاجتهاد، خاصة في المسائل التي ليس فيها نص في إطار الأصول الشرعية، وعلى حفظ الدين والعقل والنفس والعرض والمال⁽¹⁾. ولأن أهمية المقاصد بلغت شأنًا كبيراً عن العلماء جعلت الإمام أبو المعالي الجويني يقول : "إن من لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة"⁽²⁾.

العلاقة بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة

رغم أن معني المقاصد في كلاهما مفهوم ومراد ، وأن الغاية منهما تحقيق مصالح العباد ونفعهم في الدنيا وفوزهم في الآخرة ، إلا أن هناك اختلاف بين المقاصد القرآنية والمقاصد الشرعية، فمقاصد القرآن يستنتجها المفسر من القرآن نفسه أو من النص القرآني ، أما مقاصد الشريعة فيستخرجها الأصولي من كتب الفقه وأصوله وفق القواعد التي حددها علم أصول الفقه، كما أن مقاصد القرآن تعد شرطاً للوقوف على مقاصد الشريعة، فمقاصد الشريعة تعد خطوة تالية للمقاصد القرآنية، كما أن مقاصد الشريعة تتعلق بموضوع واحد من الموضوعات القرآنية وهو مجال الأحكام والتشريع، والمقاصد القرآنية عامة شاملة لكل الجوانب التي تحقق المصلحة في حياة المجتمع والأفراد.

ومع كون مقاصد القرآن الكريم أعم وأشمل في موضوعاتها وتناولاتها من مقاصد الشريعة؛ فهي الأصل الذي يأخذ منه ، ومقاصد الشريعة فرع من سبق منها ، إلا أن مصطلح مقاصد الشريعة هو الأشهر والأكثر دراسة وبحثاً وتصنيفاً عند العلماء منذ القديم ، وإن ذكر العلماء مقاصد القرآن فنذكر في معرض التفسير أو ضمن مباحث كتب التفسير ، وقليل منهم من أفرد لها بحثاً مستقلاً وأقل منه مقصد التفكير⁽³⁾.

1- عبد الجبار الرفاعي : فلسفة الفقه ومقاصد الشريعة ، طبعة دار الهادي - الطبعة الأولى ، سنة 1422 هـ ، (ص508) ، العوا ، محمد سليم العوا : دور المقاصد في التشريعات المعاصرة ، مطابع المدني القاهرة - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن - الطبعة الأولى ، سنة 2006م (ص24).

2- الجويني : البرهان، تحقيق عبد العظيم الديب، المنصورة: دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1992م ، ج1/ص295.

3- من الكتب التي تناولت موضوع التفكير كمقصد قرآني وإن لم تبرزه بنفس هذا المعني : عبد العزيز جاويش (1347هـ / 1929م): أثر القرآن الكريم في تحرير الفكر البشري، عباس محمود العقاد (1383هـ / 1964م) التفكير فريضة إسلامية.

المبحث الثاني

المقاصد القرآنية وتقويم الفكر

للفكر أهميته وقيّمته في ميزان الإسلام ، ولقد اهتم القرآن الكريم بالفكر وتقويمه وجعله في إطاره الصحيح لكي يؤدي رسالته المنوطة به وهي إعمال العقول تنويرها بنور الله تعالى الذي أنزله في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : 15 ، 16]

فقد جعل الله تعالى الكتاب العزيز سبيل هداية بإخراج من اتبعه من ظلمات الكفر أو الضلال أو الفكر الخاطئ إلى الإيمان بالله تعالى ، وإلى الصراط المسقيم ، وإلى الفكر القويم.

يقول ابن جزي الكلبي (741هـ) من خلال تفسيره "التسهيل لعلوم التنزيل" إذ يقول: "الباب الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن. ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل. أما الجملة، فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إنّ هذا المقصد يقتضي أمرين، لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما بيان العبادة التي دعي الخلق إليها، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردّدهم إليها، فأما العبادة فتتقسم إلى نوعين، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال. وأما البواعث عليها فأمران وهما: الترغيب والترهيب"⁽¹⁾.

يقول الزركشي : "إن الله سمى القرآن روحاً لأنه "يحيي القلوب بأوراده" ولأنه "يؤدي إلى حياة الأبد، ولولا الروح لمات الجسد، فجعل هذا الروح سبباً للاقتدار، وعلماً على الاعتبار"⁽²⁾ ، ويقول الطاهر بن عاشور إن "أمر

1- ابن جزي ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي (741هـ): التسهيل لعلوم التنزيل ، (ط. الأولى). شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان (1416 هـ، ج1/ص14.

2- الزركشي : البرهان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة، سنة 1980م، ص5.

الإيمان يجري على الاستدلال والتمكين من النظر وبالاختيار، فهو يبطل بالإكراه على الدين بسائر أنواعه⁽¹⁾.

إن الدعوة إلى عبادة الله تعالى لا تتم إلا من خلال أعمال العقل والتفكير فيما أنزله الله تعالى وسبل الهداية وأسبابها ونتائجها ، وهذه جميعها لا تتم بصورة صحيحة إلا إذا كان الفكر قوياً والتفكير منهجياً سليماً. ويرى ابن عاشور أن هناك مقاصد للقرآن أصلية جاء القرآن لتبيانها وهي ثمانية:

1- إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. وهو أهم المقاصد وأوسعها لأنه يرتبط بالعقيدة التي هي أساس العمل والدين. فإن صلحت صلح العمل وقُبل، وإن فسدت فسد العمل ولو كان صالحاً. ويؤخذ الاعتقاد الصحيح من الكتاب والسنة، وما كان عليه النبي صلى الله عليه وأصحابه قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ أَنزَلَهُ إِلَيْنَا لِنُؤْتِيَكَ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:1] ، وقال أيضاً : ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم:52]. تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25].

2- تهذيب الأخلاق ، إن للأخلاق في ميزان الإسلام منزلة سامية لا تدانيها منزلة ، فإن جماع الدين كله خلق ، ولهذا جعل العلماء مقصد تهذيب وتقويم الأخلاق من أهم مقاصد القرآن الكريم وقد عدها الطاهر بن عاشور المقصد الثاني لمقاصد القرآن الكريم⁽²⁾ ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : 4]. "وقد راعي الإسلام هذه الحقيقة⁽³⁾ ، فبين للناس أن مقياس كل مصلحة هي الخلق المستمد من الفطرة والقائم على أساس العمل لمرضاة مثل أعلى هو غاية الإنسان من الحياة ومن العمل"⁽⁴⁾.

1- ابن عاشور ، محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، تونس ، سنة 1984م ، 26/3.

2- الطاهر بن عاشور : مقدمة التحرير والتنوير، ج 1/ص 38.

3- يريد حقيقة أن المذاهب النفعية البعيدة عن الأخلاق لا تأسس نظام ولا تقر اجماعاً لأنها خاضعة للأهواء وعدم الأخلاق والقيم.

4- علال الفاسي : مقاصد الشريعة ومكارمها ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ، سنة 1993م ، ص 194.

3- التشريع، وهو الأحكام: خاصة وعامة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشوري: 13].

4- سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة، وحفظ نظامها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48].

5- القصص وأخبار الأمم السالفة، للتأسي بصلح أحوالهم، وللتحذير من مساوئهم. فهو قصص حكيم مختار، يقوي الإيمان واليقين، ويهذب النفوس والغرائز، ويصقل الأفكار والعواطف، ويدفع الإنسان دفعا إلى التضحية والنهضة، ويصور له مستقبل الأبرار والفجار تصويراً يجعله كأنه حاضراً تراه الأبصار في رابعة النهار، قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120].

6- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة، ونشرها وذلك علم الشرائع، وعلم الأخبار، قال تعالى: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام من: 19]، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: 92]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمُوتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي

الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الأحقاف: 29-32].

7- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب. قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) [البقرة: 119] ، وقال : (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [الإسراء: 105] ، وهذه مع أنها مقاصد قرآنية إلا أنها وسائل لتقويم الفكر وتصحيح السلوك ، فإن الوعظ والإنذار والتبشير ، والحوار والمجادلة وغيرها من الأساليب التي يتم فيها تداول الأمور وتقليب وجهات النظر بصور مختلفة يساعد على تصحيح الأفكار وتقويم السلوك وتنبيه العقول إلى ما فيها مصلحتها ونفعها⁽¹⁾.

قال تعالى: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الأعراف: 188] هذا إقرار من النبي صلى الله عليه وسلم: "إني عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أن أعلم الغيب"⁽²⁾.

و"إن كلمة " الإنذار " كلمة عامة لكل الناس، حتى يتجنبوا ما يقودهم إلى النار، لكن البشارة تكون لمن آمن فقط. أو أن الإنذار والبشارة للمؤمنين، ولكن شاء الحق أن يجعل المؤمنين في صف البشارة دائماً، وأن يكون الإنذار لونا من ضرورة التخلية من العيوب ، قبل التحلية بالكمال، فأنت تدفع عن نفسك الأمر الذي يأتي بالضرر أولاً، ثم تتجه إلى ما يجلب النفع من بعد ذلك؛ لأن درء المفسدة مُقَدِّم على جلب المصلحة"⁽³⁾.

8- الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾ وتأييداً له صلى الله عليه وسلم ، ومعجزة خالدة تنطق بالهدى ودين

1- الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، (255).

2- محمد جمال الدين القاسمي: تفسير القاسمي محاسن التأويل ، دار إحياء الكتب العربية ،

١٩٥٨م - ١٣٧٧ هـ ، طبعة 1 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، (7/2919).

3- محمد قنديل : الدروس المستفادة من سورة التحريم وأثرها في تصحيح السلوك الاجتماعي والإنساني ، المعهد العالي للدراسات الإسلامية القاهرة ، سنة 2021م ، ص209.

4- الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية ، (257)، دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند ابن عاشور ، (PDF). ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية ، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة. سبتمبر 2012 - ديسمبر 2012م.

الحق، ظاهراً على الدين كله، ببلاغة العليا ومقاصده الشريفة ، وقد تحدى الله أئمة البيان أن يأتوا بسورة من مثله، أو مثل أقصر سورة منه فعجزوا ، وإذا كان أئمة البيان في عصر ازدهاره والنباغة فيه قد عجزوا فسائر الخلق أشد عجزاً، و بلاغة القرآن منوطة بما اشتمل عليه من الخصوصيات، والاعتبارات الزائدة ، وسارية فيه سريان الماء في العود الأخضر أو سريان الروح في الجسم الحي، ونظم القرآن مصدر لهداياته كلها، وهنا يطالعك العجب العجائب، حين تجد دليل صدق الهداية الإسلامية قد آخاها، واتحد مطلعهما في سماء القرآن فأداه وأداها ، قال تعالى: ﴿لِنُنَبِّئَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان من:32].

هذه الثمانية مقاصد التي أشار إليها ابن عاشور رحمه الله في أنها مقاصد أصلية جاء القرآن لتبيينها نري أنها حوت غايات القرآن وأهدافه التي جاء من أجلها ، وما يعيننا هنا هو تقويم الفكر وإصلاحه ويتم ذلك عبر عدة مقاصد وهي :

*القصص وأخبار الأمم السالفة، للتأسي بصالح أحوالهم، وللتحذير من مساوئهم ، فإن التذكير بما حدث للسابقين يجعل العقل منتبهاً والفكر يقظاً لئلا يقع فيما وقع فيه السابقون من تعطيل الفكر فانحرفوا عن الهداية بل وضلوا سواء السبيل قال تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء من : 59].

*التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة، ونشرها وذلك علم الشرائع، وعلم الأخبار ، إن قوام الفكر الصحيح عند الإنسان أن يكون ذا علم صحيح ومعرفة حقيقة ، فإن العلم الفاسد والعرفة المزيفة تجعل الفكر مشوشاً بل وضالاً ومنحرفاً ، قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية : 23] ، ولهذا فإن الله تعالى دعا في القرآن الكريم إلي العلم والفهم حتي في العقيدة والاعتراف به رباً وإلهاً واحداً قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد من : 19].

*العلم ، العلم أداة الفكر الصحيح ، ولا بد أن يكون الإنسان عالماً بالمسألة التي يراد أن يتحدث فيها ، فلا يجوز للإنسان أن يدخل ساحة حوار أو نقاش علمي قبل أن يستكمل أدواته العلمية والعقلية والفكرية ، فقد ذم الله تعالى الذين يجادلون في الله بغير علم ؛ فقال تعالى : ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ

حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : 66] ، يقول ابن كثير رحمه الله : (هذا إنكار على من يحتاج فيما لا علم له به فلا ينال اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم ، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلي حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لكان أولى بهم ، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به) ⁽¹⁾ ، وقال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾ [الحج : 8] ؛ فلا بد أن نناقش في موضوع نعرفه جيداً ، وأن ندافع عن الفكرة إذا كنا على اقتناع تام بها، حتى لا نعرض أنفسنا للإحراج، ولا نكون قد أسأنا إلي الفكرة التي نحملها وندافع عنها ، وإلا فإننا فاقد الشيء لا يعطيه.

ونجد مقصد القرآن الكريم في ذلك برسم طريق الحق والدعوة على أساس العلم اليقيني، والبصيرة النافذة ، والحجة الدامغة ، لأن الظن لا يفيد علماً ، ولا يغني من الحق شيئاً ، والبصيرة التي أشار إليها القرآن هي التي تعصم الفكر عن القول بغير علم ، وتجعله لا يحتاج غيره بدون دراسة للموضوع ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف : 108]. *ومن المقاصد القرآنية في تقويم الفكر أن لا يعتقد الإنسان أنها على صواب دائماً قبل أن يخضع آراءه للتجربة والدليل ويجعل رائده في ذلك الحق وبلوغه لا الكبر الذي يمنع من قبول الحق والنصح ، فإن كثيراً ممن ضلوا وضل فكرهم كانوا يعتقدون أنهم على صواب دائماً وأنهم لا يخطئون كدعوي قارون : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص من : 78]. إن إدراك الرأي الفكري نسبي الدلالة على الصواب أو الخطأ ، لأن العصمة كانت للأنبياء عليهم السلام ، وما عدا ذلك فيندرج تحت الصواب والخطأ وكما قال العلماء : (رأي صواب يحتمل الخطأ ، وأي غيري خطأ يحتمل الصواب) ⁽²⁾ ، وبناءً عليه ؛ فليس شرط التحوار الفكري الناجح أن

¹ - ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، طبعة دار طيبة ، سنة 1422هـ - 2002م ، ج2/ص58.

² (العبارة ذكرها الكثير من العلماء ، وقد ذكرها ابن عابدين (محمد أمين بن عمر بن عابدين) في كتابه رد المحتار على الدر المختار بعبارة (مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، سنة 1412 - 1992م ، ج1/ص49.

ينتهي أحد الطرفين إلي قول الآخر ، فإن تحقق هذا واتفقا على رأي فنعم المقصود ، وهو منتهي الغاية ، وإن لم يكن فالحوار ناجحقال تعالى : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا من :24].

المبحث الثالث

المقاصد القرآنية ومعالجة الخلل الفكري

تقوم المقاصد القرآنية بدور هام في تقويم الفكر ومعالجة الخلل الفكري الناتج عن سوء الفهم أو سوء الاعتقاد أو الضلال الذي يخيم على العقول جراء الكبر والعناد تارة والجهل وعدم الادراك تارة أخرى. ومقصد التفكير القرآني يجب أن تكون مهيمناً على كل الكتب والبحوث والمقالات والمناهج والمؤسسات العلمية ، وحاكماً على فكرها وتفكيرها، بما هو لها أو عليها، لأن من خصائصه هيمنته على كل المكتوبات والمقالات والأقوال .. قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

مفهوم التفكير

والفكر في اللغة يرجع إلي عدة ماعن أهمها "التَفَكُّرُ: التأملُ. والاسم الفِكْرُ والفِكْرَةُ. والمصدر الفَكْرُ بالفتح" (1) ، يقول الإمام الغزالي في الإحياء في بيان معنى الفكر والمراد منه: "أما التدبر والتأمل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة... وفائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة" (2).

فالفكر مرحلة متقدمة من العلم تبدأ بالتدبر والتأمل عبر نصوص وقواعد علمية صحيحة لتصل إلي نتيجة هي تكثير العلم والمعرفة الحاصلة من ذلك التدبر والتأمل مما يجعل الفكر مستقيماً منضبطاً بضوابط وقواعد علمية صحيحة. يقول الغزالي : "فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها،

1- الجوهري : لصاح تاج اللغة وصاح العربية، 783/2. وانظر: الرازي : مختار الصحاح ، ص242. ابن منظور : لسان العرب، 65/5. الرّبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، 345/13.

2- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، طبعة دار المعرفة ، بيروت لبنان ، سنة 1402هـ- 1982م ، 426/4.

وهذا هو الذي يكشف لك فضيلة التفكير، وأنه خير من الذكر والتذكر، لأن الفكر ذكر وزيادة⁽¹⁾.

وما شاع أو وُجد من الغلو والتطرف والإرهاب والكفر والابتداع، فهو ثمرة طبيعية سيئة لأعطاب الفكر. فعندما جنح الفكر، ووقعت له العلل والأعطاب، فقد أسلم هذا الفكر المعطوب تلكم التصرفات والسلوكات والأحوال إلى ما لا ترتضيه الشريعة وفكرها، وتنفر منه الفطر السليمة⁽²⁾. والمدارس الفكرية الإسلامية المتناقضة إنما ظهرت حينما أصاب أصحابها من المؤسسين والتابعين لها أعطاب في الفكر. فالخوارج والشيعة والمعتزلة... وغيرهم في القديم، وجماعات التكفير والهجرة، والدواعش... وغيرهما في العصر الحاضر، يشتركون في صور الإخلال الفكرية التي لحقت التفكير السليم، فأصبحوا مع الانتساب إلى الإسلام، بعيدين عن مقصد التفكير القرآني، بعيدين عن مقاصد هذا التفكير⁽³⁾.

من أجل ذلك كانت المقاصد القرآنية ضرورة لمعالجة الخلل والعطب الذي أصاب العقول والأفكار فجنحت إلى تلك الترهات والأفكار المسمومة والهدامة في كثير من الأحيان ، والتي ساهمت في فرقة الأمة وضياع جهدها الحضاري في الأخذ والرد على مثل هذه الأفكار ، ولو أنهم انضبطوا بمقصد التفكير القرآني الذي يؤكد على أن العلم الصحيح أول إصلاح للتفكير يؤكد القرآن الكريم ، ففي ذلك حكم ومقاصد في غاية الأهمية، وله دلالات قوية، وإشارات بليغة، فأول ما نزل من كتاب الله العزيز قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَى بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، أَفَرَأَى وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.....﴾[العلق: 1- 5]. وهي دعوة صريحة إلى القراءة والتعلم، تأتي في سياق التشريف والامتنان وتكريم الإنسان. قال العز بن عبد السلام رحمه الله: "كذلك تمنن علينا سبحانه وتعالى بعلوم في تعلم الخط في قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ

1- الغزالي : إحياء علوم الدين، 345/4.

2- أحمد كافي : المقاصد الفكرية للقرآن الكريم ، أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الدار البيضاء، المغرب. مقاصد القرآن الكريم (3): مجموعة بحوث، 2018، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، لندن، ص 329 - 372.

3- أحمد كافي : المقاصد الفكرية للقرآن الكريم ، المرجع السابق، ص 329 - 372.

يَعْلَمُ﴾[العلق: 5]، وقوله تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 239]، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 129]⁽¹⁾. مع التأكيد على أن القراءة المطلوبة هي القراءة المعرفية المنهجية، المعتمدة أساساً على الوحي تدبراً وتأملًا، حيث تهدي بهديه، وتستنير بتوجيهاته، وتستضيء إرشاداته وتوجيهاته. وهذه هي التي تؤتي أكلها في إصلاح التفكير الإنساني، لكونها قراءة باسم رب الوجود الخالق، المنعم الأول، المكرم. ولزوم هذه القراءة واجب يدل على اللزوم معنى الباء في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ..﴾، ومعناها لزوم القراءة باسم الرب تعالى، ويدخل في ذلك كل معاني وجلال الربوبية⁽²⁾.

مقاصد التفكير عند الشيخ رشيد رضا (1282-1354هـ/1865-1935م)

كان من العلماء والمفسرين الذين أعطوا المقاصد القرآنية نصيباً من العناية الشيخ رشيد رضا، فقد جعل الشيخ رضا التفكير من المقاصد القرآنية التي تعني بتقويمه وإصلاحه وضبطه وفق القواعد القرآنية، حيث خصص المقصد الثالث من المقاصد العشرة للقرآن الكريم للحديث عن التفكير⁽³⁾. وهو هاهنا يتحدث عن التفكير كمقصد يجب الاعتناء به، وتشجيع أهله، والانصياع لثمرات تفكيرهم... وغيرها من فروع مقصد التفكير. وذهب في هذا المقصد إلى التأكيد على أن الاسلام دين العقل والفكر، بخلاف الكتب المقدسة التي لا تجد فيها شيئاً من هذا الاعتناء الذي تترى الآيات القرآنية في التعرض له صراحة. وأن تقاليدهم (أصحاب الكتب المقدسة) الدينية قد حجرت حرية التفكير وحرمتها، فاسترقت الناس حتى جاء الاسلام فأعتقهم من هذا الرق⁽⁴⁾.

وانطلق من خلال المقارنة مع الكتاب المقدس يؤكد انعدام ذكر العقل، وكذلك أسماء التفكير والتدبر والنظر في العالم التي هي أعظم وظائف

1- العز بن عبد السلام (ت 990هـ) : نبذة من مقاصد الكتاب العزيز، قدم له الشيخ عبد الغني الدقر، مكتبة الغزالي، سنة 1416هـ، 1995م، الطبعة 1، ص 47.

2- حموش، مكي بن أبي طالب : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق بإشراف الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، سنة 1429هـ/ 2008م، 8349/12.

3- محمد رشيد بن علي رضا : الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ط. الأولى، سنة 1426 هـ - 2005 م، ص 121.

4- رشيد رضا : الوحي المحمدي، المرجع السابق، ص 207.

العقل⁽¹⁾ ، وخلص إلى نتيجة أساسية، وهي أن : "آيات النظر العقلي والتفكير كثيرة في الكتاب العزيز، فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكير والعقل والتدبر، وأن الغافلين عن الدين يعيشون كالأنعام، لا حظ لهم منه إلا الظواهر التقليدية التي لا تزكي الأنفس، ولا تثقف العقول، ولا تصعد بها في معارج الكمال، بعرفان ذي الجلال والجمال"⁽²⁾.

إن القرآن الكريم في حديثه عن الفكر والعقل وتأكيده لقيمة التفكير وأنها مدخل هام في إصلاح الذات وإصلاح المجتمع يجعلنا نؤكد بما لا يدع مجالاً لريب أن التفكير السليم المنطلق من قواعد صحيحة ثابتة هو من أهم الأدوات التي تصوغ الحياة العامة للأمة الإسلامية ، بل وتجعل لحضارتها كياناً قائماً علي قواعد القرآن ومنهجه القويم قال تعالى : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة من :11].

مقاصد التفكير عند الشيخ الطاهر بن عاشور (1296-1393هـ/1879-1973م)

أما الشيخ ابن عاشور فيري أن العقيدة من التفكير. وتمتاز العقيدة عنده كونها تفكيراً مقدساً ومختصاً بموضوع معين، هو وجود الله تعالى. وعدَّ إصلاح التفكير أصلاً من أصول النظام الاجتماعي ، وأكد على أن إصلاح التفكير من خلال الاستقراء في ثمان نواح⁽³⁾. قال عنها: "استقرت نواحي إصلاح التفكير الواردة في الإسلام استقراء عاجلاً فانتهيت إلى ثمان نواح من أصول نجاح المرء والجماعة والمجتمع"⁽⁴⁾.

إن التفكير الصحيح الذي يقوم على أسس ثابتة راسخة أساسها العقيدة الصحيحة يساهم في تماسك النظام الاجتماعي للمجتمع المسلم ، لأن العقيدة هي الركيزة الثابتة في حياة المؤمن تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو

1- المرجع نفسه ، ص205.

2- المرجع نفسه ، ص206.

3- عد الشيخ ابن عاشور الثمان نواح التفكيرية التي يجب معالجتها بالإصلاح فيما يلي : (التفكير في تلقي العقيدة. التفكير في تلقي الشريعة. التفكير في العبادة. التفكير في تحصيل النجاة في الحياة الآخرة. الحزم. التفكير في المعاملة. التفكير في الأحوال العامة للعالم. التفكير في مصادفة الحقيقة في العلوم) انظر : ابن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية ، (256).

4- ابن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية ، (257) ، دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند ابن عاشور.

على هذه الركيزة ، وتتجاذبه الأحداث والدوافع فيتشبث هو بالصخرة التي لا تتزعزع ، وتتهاوي من حوله الأسناد فيستند هو إلى القاعدة التي لا تحول ولا تزول ، قائمة على فكر قويم وعقيدة راسخة وقدم ثابت هادئ البال موصول بالله عز وجل، مطمئن بهذا الاتصال.

طرق ومعالجة الخلل الفكري من خلال المقاصد القرآنية :

ونستطيع أن نحدد في نقاط محددة طرق معالجة الخلل الفكري الذي أصاب بعض العقول من خلال المقاصد القرآنية وخاصة مقصد التفكير وتقويمه فيما يلي :

- الحوار ، والهدف منه إجرائه بصورة شاملة صحيحة
 - تقبل رأي المخالف ومناقشته فيه.
 - شرح الأصول الفكرية الصحيحة وبنها نفوس وعقول الشباب بالدليل الواضح.
 - الوقوف بقوة في وجه الإنحرافات الفكرية التي تهدم العقيدة.
 - قيام العلماء والمفكرين بواجبهم المنوط بهم ، وهو بيان الفكر الصحيح بالحجة والبرهان.
 - تفعيل الدراسات والبحوث القرآنية ذات الصلة.
- "...و المقصد القرآني في إصلاح التفكير الانساني، له علاقة كبيرة ووطيدة بكافة الإصلاحات، وسائر المقاصد، لأنه هو المبتدأ والمنطلق. ومثل ذلك مقصد العمران، فله علاقة وطيبة بإصلاح التفكير، فلا جرم أنه لا يتحقق إلا به"(1).

المبحث الرابع طرق التفعيل والإفادة

1- د. محمد عوام : مقصد إصلاح التفكير الإنساني في القرآن الكريم ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي - مركز دراسات مقاصد الشريعة الاسلامية ومركز المقاصد للدراسات والبحوث، مج 1، المغرب ، سنة 2015م ، ص14. عبد المجيد معلومي : مقاصد القرآن والسنة في تربية الإنسان ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2004، ص32. "مقاصد القرآن الكريم ومحاوره عند المتقدمين والمتأخرين" (PDF) ، الجزائر : مجلة الإحياء ،كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1 ع. 20/2017. 8282.

تظل جميع الكتابات والمؤلفات لا قيمة لها مالم يكن لها تفعيل وتطبيق في حياة الأمة ، وبما أن القرآن الكريم هو منهج الأمة ودستور حياتها ، وفيه عزها ومجدها فإنه لا نبغي أن تكون الدراسات حوله وحول مقاصده لمجرد التنظير والكتابة ، بل لابد من تفعيلها حتي تنهض الأمة من كبوتها الحضارية.

إن القرآن الكريم يوم أن طبقه المسلمون في حياتها وجعلوه قائد نهضتهم ودستور حضارتهم كانوا أعز أمة وأرقى حضارة شهد بذلك القاصي والداني

والقرآن الكريم أعظم كتاب في الوجود ، وهذا الحكم تواتر في دراسات الشرق والغرب من منظور مناهج البحث والحقول المعرفية المتنوعة. فكان ديكارت وهو مسيحي يقول في مقال عن المنهج: "إن ما يصدر عن الله بوصفه ذاتا حائزة للكمالات لا سبيل إلى الشك فيه"⁽¹⁾ ، ويقول موريس بوكاي وقد كان مسيحيا في كتابه القرآن والعلم: "إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الخالي من أية تناقضات. كل ادعاء بغير ذلك هو محض جهل أو عدوان، ولا قيمة له ولا يعول عليه"⁽²⁾.

إن القرآن وأساليبه ومقاصده التربوية والبلاغية تعمل في النفس والعقل عملها القوي ، وتؤثر في القلوب تأثيراً عميقاً ، ولا يتوفر ذلك لنص مهما بلغت بلاغته وفصاحته ؛ ذلك أن القرآن تنزيل الحكيم الحميد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَنَتَنَزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء : 192 - 195].

والله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يجعل مع هذه الرسالة الأخيرة آية قاهرة تظل أعناق الناس لها خاضعة ؛ بل جعل آيتها القرآن الكريم ، منهاج حياة كاملة ، معجزاً في كل ناحية من نواحيه :

1- ديكارت : المقال عن المنهج هو مقال السيرة الذاتية الفلسفية، نشره رينيه ديكارت في 1637. مقال عن المنهج، (ترجمة: محمود محمد الخضير)، (تحقيق ومراجعة: محمد مصطفى حلمي)، 1968، مصر

2- موريس بوكاي : القرآن والعلم ، الكتاب المقدس والقرآن والعلم (بالفرنسية: La Bible, le Coran et la Science)، ترجمة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية - الطبعة الثالثة 1990م.

فهو معجزاً في بنائه التعبيري وتنسيقه الفني ، باستقامته على خصائص واحدة، في مستوى واحد ، لا يختلف ولا يتفاوت ، ولا تتخلف خصائصه ؛ كما هي الحال في أعمال البشر. إذ يبدو الارتفاع والانخفاض والقوة والضعف في عمل الفرد الواحد، المتغير الحالات (1).

بينما تستقيم خصائص هذا القرآن التعبيرية على نسق واحد، ومستوى واحد، ثابت لا يتخلف، يدل على مصدره الذي لا تختلف عليه الأحوال ، ومقاصده التي ترقى العقول وتقوم الأفكار وتسد الآراء ، قال تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [ص : 29].

وهو معجزٌ في بنائه الفكري ، وتناسق أجزائه وتكاملها ، فلا فلتة فيه ولا مصادفة ، و كل توجيهاته وتشريعاته تلنقي وتناسق وتتكامل ؛ وتحيط بالحياة البشرية ، وتستوعبها، وتلبّيها وتدفعها ، دون أن تتعارض جزئية واحدة من ذلك المنهاج الشامل الضخم مع جزئية أخرى ؛ ودون أن تصطدم واحدة منها بالفطرة الإنسانية أو تقصر عن تلبيةها.. وكلها مشدودة إلى محور واحد ، وإلى عروة واحدة، في اتساق لا يمكن أن تقطن إليه خبرة الإنسان المحدودة(2).

ولا بد أن تكون هناك قدرة وحكمة مطلقة، غير مقيدة بقيود الزمان والمكان. هي التي أحاطت به هذه الإحاطة ، ونظمتها هذا التنظيم ، وأبدعتها هذا الإبداع قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الشعراء : 192 - 201].

وهو كذلك معجزٌ في يسر مداخله إلى القلوب والنفوس والعقول ، ولمس مفاتيحها، وفتح مغاليقها، واستجاشة مواضع التأثير والاستجابة فيها ؛ وعلاجه لعقدها ومشكلاتها في بساطة ويسر عجيبين ؛ وفي تربيتها

1- د. محمد السيد الوكيل: نظرات في أحسن القصص ، طبعة دار القلم بسوريا ، طبعة 1 ، سنة 1315هـ ، ص34.

2- الدكتور. الرفاعي محمد عبيد : قصص القرآن الكريم ، أستاذ ورئيس قسم التفسير بكلية الدراسات الإسلامية بالمنصورة الطبعة الأولى سنة 1428هـ - 2007م ، ص77.

وتصريفها وفق منهجه بأيسر اللمسات، دون تعقيد ولا التواء ولا مغالطة ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر : 17].

ومن هنا يأتي دور مقاصد القرآن في تقويم الفكر وتعديل السلوكيات ، والمقاصد والقواعد القرآنية تُقَوِّمُ السلوك الفكري وتجعله سلوكاً منضبطاً في بداه وفي نهايته ، وفي منطلقاته وفي نتائجه"ومن هذه الآداب مراعاة الجانب السلوكي والتربوي ، لأن لها أثر كبير في الحوار ؛ فالممارسة الناضجة والتخلق بأخلاق القرآن العظيم ، هي الترجمان الحقيقي والأثر الحي الصادق للعلم الصحيح"⁽¹⁾.

فالهدف من المقاصد القرآنية هو بيان الحقيقة الإيمانية والدعوة إلى الحق وشرح أخلاقه وآدابه ، لذلك لا بد لمن يتدبر فيه أن يلتزم بآدابه وأقواله وأفعاله حتى يكون ذا أثر عليه في تقويم فكره من خلال أسلوب هادئ وموضوعي يدل على مرونة التصرف ورجاحة العقل وسعة الصدر والخلق ، وانتقاء أفضل الألفاظ والأساليب المحققة لتلك الأهداف ، وكذلك البعد عن السيئ من الأقوال والتلميحات التي تضعف الثقة بين المتحاورين ، وكذلك الحرص على طلب الحق من خلال الحوار وعدم التعصب للنفس أو للرأي بلا دليل ، كل هذه الأمور وغيره لها آثارها على الفرد والمجتمع إذا ما قام بها كما جاءت في حوار القرآن الكريم الذي قصه علينا في مواطن عدة من الكتاب العزيز.

والحوار من الأساليب التي جاءت في القرآن الكريم كثيراً ، ولذلك لأهميته في بناء العقل الفكري للفرد المسلم وكذلك لإيصال الدعوة وشرح المراد منها وبيان أهداف رسالة الإسلام الحنيف ، وأنه ما جاء إلا لصالح البشرية كلها ، سواء من آمن أو من كفر ، فأما من آمن فيكون قد أدى أمانة الدعوة وبلغ رسالة الإسلام وجزاء إيمانه عند الله تعالى المغفرة والجنة ، وأما من كفر يكون قد وصله البيان واضحاً نقياً ، ثم حسابه عند ربه على ما أنكر من الهدى والحق ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص : 51].

¹ - محمد السيد الوكيل : نظرات في أحسن القصص ، ص55. حسام العيسوي إبراهيم: التربية في القصص القرآني ، بدون طبعة ، سنة 1432هـ ، 2011م ، ص35. ميساء كمال : البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية) رسالة ماجستير مقدمة /كلية أصول الدين/الجامعة الإسلامية - غزة ، 1430هـ/2009م ، ص19.

(وبما أن الخطاب القرآني كان يحث الإنسان على إعمال عقله وطاقاته الإدراكية والشعورية ، فقد بنى لغته على مختلف أنواع الحجج والبراهين العقلية والبلاغية ؛ ولذا يؤدي الإقناع دوراً رئيسياً وحيوياً في حياة أي فرد ، التي تعتبر ميداناً للاتصال الذي يعد عملية إنسانية وحياتية ذات جانب اجتماعي ونفسي، لا تستقيم الحياة الاجتماعية وتكتمل إلا بها ، ويأتي الإقناع ليضطلع بالدور الرئيس والمهم في الاتصال)⁽¹⁾.

و القرآن الكريم يربط بين الحواس والعقل في اكتساب المعرفة العلمية الصحيحة، ولا ينبغي أن يقف عند هذا الحد، وإنما يبين مسؤولية الإنسان عن حواسه وحفظها واستعمالها فيما ينفعه ، وأمانته على الحفاظ عليها، وخاصة السمع والبصر، توجيهها، وإرشادها، وإعمالها حتى لا تصير عرضة للضياح سبب سوء الاستعمال فيما لا ينفع ، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]. فهو مسئول عنها أمام الله تعالى هل استعملها فيما ينفعه أو لا.

يقول أبو بكر الجصاص : "فيه بيان أن لله علينا حقا في السمع والبصر والفؤاد، والمرء مسئول عما يفعله بهذه الجوارح من الاستماع بما لا يحل، والنظر إلى ما لا يجوز، والإرادة لما يقبح"⁽²⁾.

ويقول الإمام القرطبي: "أي يسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل عما افتركه فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع. وقيل: المعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه وسمعه وبصره وفؤاده، ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم: { كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته }"⁽³⁾،⁽⁴⁾.

¹- عبد الرحيم، الرشيد أبو عاقلة دفع الله: من أساليب و آداب الحوار في سورة الشعراء و تطبيقاتها التعليمية و التربوية، مجلة دراسات دعوية، مج. 2013م ، عدد. 26، الناشر جامعة إفريقيا العالمية المركز الإسلامي الإفريقي لإدارة الدعوة ، ص. 1-36.

2- أبو بكر الجصاص، أحمد بن علي الرازي الجصاص : أحكام القرآن ، ط دار إحياء التراث العربي -بيروت سنة 1412هـ-1992م. 265/3.

3- أخرج البخاري ، صحيح البخاري حديث رقم 2554 ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، حديث برقم 1829 ، والحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

4- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، دار الحديث القاهرة ، طبعة ثانية ، سنة 1416هـ -1996م. 80/13، وانظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 100/15.

لهذا كانت المقاصد القرآنية في تفعيل دور الحواس التي أعطاها الله للإنسان هام في تفكيره وتعليمه ومعرفته ، والإفادة منها في تكوين رأي فكري قويم يستند إلي أدلة واضحة قوية.

وقد اهتمت الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة والأموية والعباسية بالعلوم والمدنية كما اهتمت بالنواحي الدينية فكانت الحضارة الإسلامية حضارة تمزج بين العقل والروح والفكر ، فامتازت عن كثير من الحضارات السابقة ؛ فالإسلام دينٌ عالمي يحض على طلب العلم وعمارة الأرض لتنهض أممه وشعوبه، وتنوعت مجالات الفنون والعلوم والعمارة طالما لا تخرج عن نطاق القواعد الإسلامية؛ لأن الحرية الفكرية كانت مقبولة تحت ظلال الإسلام، وامتدت هذه الحضارة القائمة بعدما أصبح لها مصارفها وروافدها لتنتشر على بلاد الغرب وطرقت أبوابه، وهذه البوابة تبرز إسهامات المسلمين في مجالات الحياة الإنسانية والاجتماعية والبيئية والفكرية ، خلال تاريخهم الطويل، وعصورهم المتلاحقة.

ويوم أن تخلف المسلمون عن الركب الحضاري وصاروا في ذيل قائمة الأمم الحضارية كان السبب الرئيس في ذلك هو عدم اهتمامهم كالسابقين بالفكر والنهضة العلمية فصاروا متسولين للمعرفة ينظرون أن يلقي إليهم فئات العلم أو ما لا قيمة له منه ، وهذا لعمرى من المصائب التي منيت به الأمة جراء بعدها عن القرآن الكريم ومقاصده العليا التي تحقق للأمة الرفعة والتقدم والريادة.

الخاتمة

إن القرآن الكريم ومقاصده ذات أثر بالغ في تقويم الفكر وتقييمه ، ولقد اهتم القرآن بهذا المقصد اهتماماً عظيماً فجعله أحد الركائز التي يقوم عليه صلاح العقل والفهم الصحيح قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : 43 ، 44].

وفي ختام حديثنا عن المقاصد القرآنية رؤية نحو التفاعل والإفادة الفكرية نأتي إلى خاتمة البحث وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليه البحث وهي كما يلي :

أولاً أهم النتائج :

- أن المقاصد القرآنية هي الغايات العليا من النص القرآني الكريم التي جاءت لإصلاح المجتمع والأفراد وسعادتهم في الدنيا والآخرة.
 - أن المقاصد القرآنية هي دراسة الأسرار والحكم والغايات التي نزل القرآن الكريم لأجل تحقيقها جلباً لمصالح العباد ، ودفعاً للمفاسد عنهم.
 - أن هناك علاقة وثيقة بين مقاصد القرآن والمقاصد العامة للشريعة ، فالأولي أعم من الثانية.
 - أسست المقاصد القرآنية لقواعد التفكير والتدبر وإعمال العقل بصورة صحيحة من خلال النصوص الكريمة.
 - حرص القرآن الكريم على استعمال الحواس من سمع وبصر وفؤاد في الفكر وأنها نوافذ للمعرفة وأن الإنسان يسأل عنها يوم القيامة.
 - أن المقاصد القرآنية عالجت الخلل الفكري بترسيخ المفاهيم والقيم الأخلاقية والعلمية بصورة واضحة.
 - أن التفكير الصحيح الذي يقوم على أسس ثابتة راسخة أساسها العقيدة الصحيحة يساهم في تماسك النظام الاجتماعي للمجتمع المسلم.
 - أن المقاصد القرآنية وتفعيلها مرتبط بكافة أوجه الإصلاح وخاصة إصلاح التفكير الإنساني وتقويمه.
- أهم التوصيات:**
- توجيه عناية الباحثين إلي المزيد من الدراسات حول المقاصد القرآنية وخاصة تقويم الفكر.
 - عقد ندوات توضح أهمية مقصد تقويم الفكر الإنسان من خلال القرآن الكريم.
 - إصدار دوريات ونشرات تبين مقاصد القرآن عموماً ومقصد تقويم التفكير خاصة.

وفي نهاية هذا البحث أقول :

إن العناية التي يجب أن تصرف فيها الأوقات هي العناية بالقرآن الكريم ومقاصد العليا التي ما جاءت إلا لتحقيق السعادة للبشرية جمعاء ، وإن على المؤسسات والجامعات والهيئات العلمية في العالم الإسلامي والعربي تقع

مسؤولية عظيمة تجاه القرآن الكريم ومقاصده، فاللهم وفق الجميع لما تحب وترضي ، وصلى الله وسلم على معلم الناس الخير سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وآخر

المصادر والمراجع

1. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) في مفتاح دار السعادة ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت لبنان.
2. ابن تيمية (728هـ) : الاستقامة ، تحقيق د محمد رشاد سالم ، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى ، سنة 1403هـ ، 1983م.
3. ابن جزي ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي (741هـ): التسهيل لعلوم التنزيل ، (ط. الأولى). شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان 1416هـ.
4. ابن عابدين (محمد أمين بن عمر بن عابدين) في كتابه رد المحتار على الدر المختار ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، سنة 1412هـ - 1992م.
5. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، طبعة دار طيبة ، سنة 1422هـ – 2002م.
6. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، مكتبة الكتب التعليمية، بيروت لبنان ، سنة 1980م.
7. أبو بكر الجصاص ، أحمد بن علي الرازي الجصاص : أحكام القرآن ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت سنة 1412هـ - 1992م.
8. أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، طبعة دار المعرفة ، بيروت لبنان ، سنة 1402هـ - 1982م.
9. أحمد الريسوني : نظرية المقاصد عند الشاطبي ، الناشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، سنة 1412هـ ، 1992م.
10. أحمد كافي : المقاصد الفكرية للقرآن الكريم ، أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الدار البيضاء، المغرب. مقاصد القرآن الكريم (3): مجموعة بحوث، 2018، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، لندن.
11. إسماعيل الحسني : نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور ، دار النشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سنة 1995م.
12. الجويني : البرهان، تحقيق عبد العظيم الديب ، المنصورة: دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1992م.

13. الجويني ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي إمام الحرمين (ت: 478هـ): البرهان في أصول الفقه ، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة ، طبعة 1 ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، سنة 1418هـ - 1997م.
14. حسام العيسوي إبراهيم: التربية في القصص القرآني ، بدون طبعة ، سنة 1432هـ، 2011م.
15. حموش، مكي بن أبي طالب : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق بإشراف الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، سنة 1429هـ/ 2008م.
16. دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند ابن عاشور ، (PDF). ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية ، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة. سبتمبر 2012 - ديسمبر 2012م.
17. ديكارت : المقال عن المنهج هو مقال السيرة الذاتية الفلسفية، نشره رينيه ديكارت في 1637. مقال عن المنهج، (ترجمة: محمود محمد الخضير)، (تحقيق ومراجعة: محمد مصطفى حلمي)، 1968، مصر.
18. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت666هـ): مختار الصحاح ، المكتبة العصرية - بيروت لبنان ط خامسة ، سنة 1420هـ - 1999م تحقيق أحمد عبد الغفور عطار سنة 1414هـ.
19. الرفاعي محمد عبيد : قصص القرآن الكريم ، أستاذ ورئيس قسم التفسير بكلية الدراسات الإسلامية بالمنصورة الطبعة الأولى سنة 1428هـ - 2007م.
20. الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، سنة 1980م.
21. الشاطبي ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت 790هـ): الموفقات في أصول الشريعة ، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، طبعة دار ابن عقّان ، 1417هـ/ 1997م.
22. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني : إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات. المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر (ط. الأولى). دار الكتب العلمية - لبنان بيروت ، سنة 1404هـ - 1984م.
23. الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية ، تقديم حاتم بوسمة ، طبعة دار الكتاب المصري ، القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت ، سنة 2011م.
24. عبد الرحيم، الرشيد أبو عاقلة دفع الله: من أساليب و آداب الحوار في سورة الشعراء و تطبيقاتها التعليمية و التربوية ، مجلة دراسات دعوية،مج. 2013م ، عدد. 26، الناشر جامعة إفريقيا العالمية المركز الإسلامي الإفريقي إدارة الدعوة.
25. عبد المجيد معلومي : مقاصد القرآن والسنة في تربية الإنسان ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2004م.

26. عبد الجبار الرفاعي : فلسفة الفقه ومقاصد الشريعة ، طبعة دار الهادي - الطبعة الأولى ، سنة 1422هـ.
27. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام : قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، سنة 1991م.
28. العز بن عبد السلام (ت990هـ) : نبذة من مقاصد الكتاب العزيز ، قدم له الشيخ عبد الغني الدقر ، مكتبة الغزالي ، سنة 1416هـ ، 1995م ، الطبعة 1.
29. علال الفاسي : مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ، سنة 1991م.
30. العوا ، محمد سليم العوا : دور المقاصد في التشريعات المعاصرة ، مطابع المدني القاهرة - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن - الطبعة الأولى ، سنة 2006م.
31. الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، أبو العباس (ت:770هـ) : المصباح المنير ، طبعة مكتبة لبنان. بيروت ، سنة 1987م.
32. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، دار الحديث القاهرة ، طبعة ثانية ، سنة 1416هـ - 1996م.
33. محمد السيد الوكيل: نظرات في أحسن القصص ، طبعة دار القلم بسوريا ، طبعة 1 ، سنة 1315هـ.
34. محمد جمال الدين القاسمي: تفسير القاسمي محاسن التأويل ، دار إحياء الكتب العربية ، 1908م - 1377هـ ، طبعة 1 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
35. محمد رشيد بن علي رضا : الوحي المحمدي ، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ، ط. الأولى ، سنة 1426 هـ - 2005م.
36. محمد عوام : مقصد إصلاح التفكير الإنساني في القرآن الكريم ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية ومركز المقاصد للدراسات والبحوث، مج 1 ، المغرب ، سنة 2015م.
37. محمد قنديل : الدروس المستفادة من سورة التحريم وأثرها في تصحيح السلوك الاجتماعي والإنساني ، المعهد العالي للدراسات الإسلامية القاهرة ، سنة 2021م.
38. مقاصد القرآن الكريم ومحاورة عند المتقدمين والمتأخرين : (PDF) ، الجزائر : مجلة الإحياء ، كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1 ع. 20/2017.
- 8282.
39. مورييس بوكاي : القرآن والعلم ، الكتاب المقدس والقرآن والعلم (بالفرنسية: La Bible, le Coran et la Science) ، ترجمة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية - الطبعة الثالثة 1990م.
40. ميساء كمال : البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية) رسالة ماجستير مقدمة /كلية أصول الدين/الجامعة الإسلامية - غزة ، 1430هـ/2009م.

41. نور الدين بن مختار الخادمي : الاجتهاد المقاصدي ، حجيته وضوابطه ومجالاته ، كتاب الأمة ، العدد 66، رجب 1419هـ السنة الثامنة عشرة ، سنة 1998م.